

مفاهيم الإنسانية في شاهنامه الفردوسي

الدكتور محمد علوي مقدم

جامعة الفردوسي - مشهد

الشاهنامه ملحمة شعرية تناول فيها الفردوسي تاريخ إيران القديم منذ بداية الحضارة الإيرانية إلى سقوطها. وتنقسم إلى ثلاث فترات، تبدأ الأولى من حكم كيومرث وهوشنج وطهمورث وجمشيد والضحاک وتنتهي بظهور فريدون وجلوسه على العرش وتغلب عليها الصبغة الأسطورية، وتبدأ الفترة الثانية من قيام كاوه الحداد واجلاسه فريدون على العرش وتنتهي بقتل رستم وحكم بهمن بن اسفنديار وتتجلى فيها كلّ مميّزات الملحمة. والفترة الثالثة هي الفترة التاريخية التي تحدّث فيها عن الإسكندر ولم يذكر خلفاءه. ويمتاز الفردوسي في الشاهنامه بعفّة اللسان والإكثار من الموعظة والنصيحة والحكمة التي ساقها في نهاية كلّ قصة أوردتها لتكون عبرة للقارئ.

بظهور فريدون وجلوسه على العرش. وليست لهذه المرحلة من الشاهنامه قيمةً ملحمةً، بل هي على العكس، تغلب عليها صبغة الأساطير.

المرحلة الثانية - العهد الملحمي أو البطولي الذي يبدأ من قيام كاوه الحداد واجلاسه فريدون على العرش وتقسيم فريدون مملكته بين ابنائه الثلاثة: سلم و تور و ايرج. وتنتهي هذه المرحلة بقتل رستم وحكم بهمن بن اسفنديار. وفي هذه المرحلة نفسها من الشاهنامه تتجلى كلّ مميّزات الملحمة.

فالمحمة شعراً يصف الأعمال البطولية والخارقة للعادة التي توجب الفخر، كما يصف امجاد قوم أو أمّة، وفي بعض الاحيان امجاد فرد. وفي الشعر الملحمي تذكر الأعمال

شاهنامه الفردوسي ذات موضوعات مختلفة. والفردوسي شاعر ملحمي لا يضايه احد من شعراء إيران بل العالم. وقد اورد في ملحمته، بالاضافة الى حديثه عن القتال نصائح ومواعظ وتناول موضوعات متعدّدة بعبقرية فذة. ولم يكن عمله على وتيرة واحدة ولكنّه متنوع إلا انه نظمها على وزن وشكل واحد.

موضوع الشاهنامه، هو تاريخ إيران القديم منذ بداية الحضارة الإيرانية القديمة الى سقوطها. وهذه الفترة على طولها تنقسم الى ثلاث مراحل:

المرحلة الاولى - العهد الاسطوري الذي يبدأ من حكم كيومرث وهوشنج وطهمورث وجمشيد والضحاک، وينتهي

البطولية في صورة قصة أو قصص.

ومن الممكن ان تكون المنظومات الحماسية ذات صبغة قومية تتحدث عن حروب أمة وبطولاتها وتضحياتها، ومن خلال ذلك تتحدث عن حضارتها وظواهرها الفكرية والثقافية خلال العصور.

ومن الممكن ان تكون المنظومة الحماسية تاريخية، نشأت نتيجة للاهتمام بالحقائق التاريخية وامتزاج الاحداث التاريخية بالموضوعات القصصية**.

وقد يكون لها أحيانا اخرى، صبغة دينية نظمها مؤلفوها نتيجة لعقيدة دينية حادة***.

المرحلة الثالثة - من مراحل الشاهنامه، هي المرحلة التاريخية التي يقل فيها - الى حد ما اسلوب الفردوسي عظمة وتخف حدة لهجته. وفي هذه المرحلة يلقب بهمن بن اسفنديار بلقب اردشير ويوصف بـ [درازدست] أي واسع الباع.

وفي هذه المرحلة نفسها لم يذكر الفردوسي خلفاء الاسكندر، مع أنه ذكر الاسكندر نفسه؛ لأن المصادر التي كانت بين يديه التزمت الصمت عند هذا الموضوع، ولأنه لم يكن يعرف عن السلوقيين شيئاً قط، ولا عن فترة حكم الاشكانيين التي بلغت خمسة وسبعين وأربعائة عاماً.

ويقول الفردوسي بعد ذكر بعض ملوكهم:

جو كوتاه شد شاخ وهم بيخشان

نگويد جهانديده تاريخشان

از ايشان. جز از نام تشنيدهام

نه در نامه خسروان خوانندهام⁽¹⁾

يعنى: لما كان اصلهم وفرعهم قصيراً لم يحدث اهل التجارب بتاريخهم. ولم اسمع عنهم الا الاسم ولا رأيتهم في كتاب الملوك.

ولذلك نظم الفردوسي ثمانية عشر بيتاً فقط عن هذه الاسرة.

والحقيقة ان معظم نصائح الفردوسي ومواعظه الاخلاقية ومفاهيم الانسانية، ترد في هذا الجزء من الشاهنامه، الذي تحدث فيه عن بزرجمهر الحكيم وهو في غاية البلاغة، وعلى هذا يقول «تلذكه»: أنها ملحمة لا نظير لها عند أمة اخرى؛

فاذا قسنا الشاهنامه باعظم الملاحم الاخرى وابعدها صيماً تبين الفرق بينها⁽²⁾. ولعل ابن الاثير قد اطلق على الشاهنامه قرآن العجم⁽³⁾ نتيجة لهذا الجزء. يقول في الفرق بين النثر والشعر: «ان الشاعر اذا احتاج الى الإطالة بان ينظم ما نبي بيت او ثلاثائة، يستطيع بالتأكيد ان يجيد في شعره، الا ان بعض هذه الأشعار، يكون جيداً واكثرها يكون رديئاً واهناً. وبالرغم من هذا فان الشاهنامه تستثنى من هذا الرأي، فكلها في غاية الفصاحة والبلاغة»⁽⁴⁾.

وعند الفردوسي شيء آخر جدير بالانتباه، هو عفة لسانه، ففي الشاهنامه كلها لا يوجد لفظ قبيح او عبارة مستهجنة؛ اذ لم يلوث الفردوسي لسانه بالهزل والقباح. وحيثما اقتضت رواية ما ان يذكر نقطة باعته على الخجل كان ينقلها بألطف عبارة وأجملها⁽⁵⁾.

ففي قصة عشق زال¹ [والدرستم] ورواياه [والدة رستم] عندما يريد ان يقص كيف ان رواده ارخت ضفائرهما من أعلى القصر الى أسفله، حتى يتسلق زال عليها، يقول⁽⁶⁾:

«خذ بطرف ضفيري من ناحيتك، فمن اجل متلك ينبغي ان تكون هكذا دائماً».

«ومن اجل ذلك أطلت هذا الشعر، حتى يكون معيناً للحييب».

اين نستطيع ان نجد شبيهاً لهذا المصنوع البديع؟! في الواقع ان الفردوسي نظم غزلاً في قالب المثنوي، غزلاً يمكن من حيث رفته وسلاسة افكاره وجمال عباراته وتناسب الفاظه ان يماثل غزليات العصور التالية.

وللفردوسي أيضاً مرات حسنة، لكن ينبغي ألا تتوقع أن يترك الفردوسي الحديث عن البطولة عند نظمه للمراثي.

فعلى سبيل المثال تعد قصة «ايرج» من المراثي الحسنة في اللغة الفارسية.

وعلى سبيل المثال ايضاً نظم الفردوسي بعد ذكره لمقتل سهراب واسفنديار على يد رستم، مراثي رائعة.

فعندما وصل خبر موت سهراب الى أمه، وصف الفردوسي حداد والدته عليه بقوله:

به مادر خبر شد که سُهراب گُرد
 ز تیغ پدر خسته گشت و بُمرد
 برآورد بانگ و غریو و خروش
 زمان تا زمان زو همی رفت هوش*
 مرآن زلف چون تاب داده کمند
 به انگشت پیچید و از بُن بکند
 به سر بر فکند آتش و برفروخت
 همی موی مشکین به آتش بسوخت^(۷)
 و للفردوسی، فضلاً عن هذا، مرثیه مثيرة للحرز نظمها في
 موت ابنه، وهي تدلّ في الوقت نفسه، على تحمّل الشاعر
 وشدة جلده وقدرته الشعرية، فيقول^(۸):

مرا سال بگذشت بر نصت و سج
 نه نیکو بود گر بیزد به گنج
 مگر بهره گیرم من از بند خویش
 براندیشم از مرگ فرزند خویش
 مرا بود نوبت برفت آن جوان
 ز درش منم چون تسی بی روان
 الخ

یعنی: تجاوز عمری الخامسة والستین، وليس من
 المستحب أن أطمع بعد في مال. ربّما أخذ نصیباً من
 مواظپی، وأفکر في موت ولدی.

كان الدور، دوري وذهب ذلك الشاب، ومن ألمي عليه
 صرتُ كآني جسدُ بلا روح.

لا تقتصر شاهنامه الفردوسي على الاشعار الحرّية
 فحسب، بل عندما يقتل بطلُ او يموت شخص عظيم يأخذ
 في نصح الآخريين من البشر الغافلين عن نهاياتهم،
 المتكالبين على الدنيا، الفارقين في الإثم ويبيدي غدر الأيام
 ويكشف عن وجه الموت ويطلب من عبّاد الدنيا وطاقاتها ان
 يعتبروا بما حدث وكأنه يقول:

أيها الظلمة! لا تظلموا واعلموا أنكم ايضاً ميتون يوماً ما.
 يقول في موضعٍ آخر^(۹):

كجا آن سر و تاج شاهنشهان
 كجا آن بزرگان و فرخ مهان؟!
 كجا آن سواران و گردان كشان
 گز ایشان نه بینم به گیتی نشان!؟

كجا آن بری چهرگان جهان
 كز ایشان بُدی شاد جان مهان!؟
 یعنی: أين رؤوسُ الملوك وتيجانُهم. أين اولئك الفرسان
 والأبطال الذين كانت روح الدنيا بهم سعيدة. وأين حسان
 الدنيا اللاني، لا ارى منهم أثراً فيها.
 ويقول الفردوسي في موضع ثالث^(۱۰):

زمین گر گشاده کند راز خویش
 نماید سرانجام و آغاز خویش
 کنارش بر از تاجداران بود
 برش بر زخون سواران بود
 بر از مرد دانا بود دامنش
 بر از ماهرُخ جیب و پیرامنش

یعنی: لو ان الدنيا افشت سرّها. لأبدت مبدأها ومنتهاها.
 كان كنفها مليئاً بذوي التيجان، وكان صدرها مروياً بدم
 الفرسان.

وكان حجرها مليئاً بالعلماء ومفعماً بالحسان سافرات
 الوجوه والأبدان.

في الحقيقة يريد ان يقول:

في هذه الدنيا، عاش متوجون، وفي هذا العالم كان هناك
 علماء وعلى هذه الارض تبخترت حسان وكلّهم مضوا.

واحياناً يسأل الفردوسي نفسه يحزن زائد عن الحد:

اين مضي كلّ اولئك الملوك؟! إلى أين مصير الظالمين!؟

واولئك الحسان ربّات الدلال إلى أين انتهين؟

انّ كل هذه الاسئلة من اجل ان يعتبر القراء فلا يظلم احد
 احداً، بل يجب ان تسود الرحمة وتنتشر المحبة بين الجميع.
 فيقول^(۱۱):

كجا آن سر و تاج شاهنشهان؟
 كجا آن دلاور گرامی مهان؟
 كجا آن حكيمان و دانندگان
 همان رنج بردار خوانندگان؟
 كجا آن بُتان بر از ناز و شرم
 سخن گفتن خوب و آوای نرم؟

یعنی: أين هاماتُ الملوك وتيجانُهم؟ وأين اولئك العظماء
 والسادة الاماجد؟

أین اولئك الحكماء والعلماء؟ وأین من تحمّلوا المشاق من
الفرّاء؟

أین اولئك الحسان ذوات الدلال والحیاء؟ واین الحدیث
اللیّن والصوت الناعم؟!

واحياناً يقول الفردوسي في الشاهنامه عن لسان
بزرجمهر الذي تعجب الحكماء من كلامه وفصاحة منطقته
ووفور علمه وحكمته. سأله أحد الحكماء عن الخصال التي
يستحقّ صاحبها التّقدم: فقال بزرجمهر:

الرفق والكرمّ والتواضع والبذل لا لطلب مجازاة ومكافأة
وبلا شائبة منّ ولا اذى وسأله آخر عن خير خصال المرء.
فقال:

ان يعرف عیب نفسه فيصلحها.

دگر گفت کاندر خردمند مرد
هنر چیست هنگام تنگ و نبرد
چنین گفت کان کس که آهوی خویش
بیند بگرداند آیین و کیش^(۱۲)

وسأله آخر: بماذا يطيب عيش الانسان ويقلّ تبعه؟ فقال:
بان يجمع بين العقل والحلم ويعدل في الإعطاء والأخذ
ولا يكون عنده نقبصة ولا زيغ، ويعفو عند الاقتدار ولا يكون
حديداً غير حلیم.

پرسید دیگر که در زمین
چه سازی که کمتر بود رنج تن
چنین داد پاسخ که گر با خرد
دلش بر دبار است، رامش برد
به داد وستد در کند راستی
بیند نر کژی و کاستی
ببخشد گه چون شود کامکار
نباشد سرش تیز و تابردبار^(۱۳)

وسأله آخر: من المحافظ علی نفسه؟ فقال: من خالف
هواه ولم يتبع مناه.

پرسید دیگر که از انجمن
نگهبان کدامست بر خوشتن
چنین گفت کان کو پس آرزوی
نرفت از کریمی و از نیک خوی^(۱۴)

وسأله آخرُ أيّ العطاء احسن؟ فقال:
ما كان من غير سؤال وبلا منّ.

دگر گفت کز بخشش و نیک خوی
کدام است نیکوتر از هر دو سوی
چنین گفت کان کس که ناخواسنه
به بخشش کند جانش آراسته^(۱۵)
وفي بیت آخر يقول الفردوسي: والبادل اذا لم يجد لنفسه
عن الامتنان زاجراً فلا تجعله الا تاجراً.

وگر بر ستاننده آرد سیاس
زبخشنده بازارگانی شناس^(۱۶)
وقال لبزرجمهر آخر: كيف السبيل الى تحصيل الذكر
الجميل؟ فقال: تباعد عن الذنوب واحبّ لغيرك ما تحبه
لنفسك.

چه سازیم تا نام نیک آوریم
وزآغاز فرجام نیک آوریم
بدو گفت: سو دوریاس از گنجه
جهان را همه چون تن خویش خواه
هرآن چیز کانت نیاید پسند
تن دوست و دشمن درآن بر میند^(۱۷)
وسأله آخر وقال بزرجمهر: من الذي يستحق الثناء؟ فقال:
الذي يعبد الله الذي عنت له الوجوه وتخشاها وترجوه.

سزای ستایش دگر گفت کیست؟
اگر برنکوهدیده باید گریست
چنین گفت کان کو به یزدان پاک
فزون دارد امید وهم بیم و باک^(۱۸)
وقال آخر: اخبرني بخصلة مرضية عند العقلاء.
فقال: ألا يحزن الرجل على ما يفوته ويقطع الرجاء عمّا
يبعد تكوينه.

دگر گفت کان چیست ای هوشمند
که آید خردمند را آن پسند
چنین گفت کان کو بود پُر خرد
ندارد غم آن کزو بگنرد
دگر کو زتابودنیها امید
بیرد برآن گونه کز بار بید^(۱۹)
يعدُّ الفردوسي في الشاهنامه عن لسان بزرجمهر، اخلاق
العاقل المنجية وكذلك اخلاق الجاهل المردية قائلاً:

أما الخمسة المنجية فهي ألا يجزع على ما فات ولا يفرح بما هو آتٍ، ولا يرجو ما لا يكون، ويحذر من عواقب الامور وإذا حزبه حازبٌ كافحه من غير جبن ولا خور.

خوی مرد دانا بگویم پنج
 کزان عادت او خود نباشد به رنج
 چو نادان کند خوی با هفت چیز
 نباشد شگفت آر به رنج است نیز
 نخست آنکه هرکس که دارد خرد
 ندارد غم آن کزو بگنرد
 نه شادان کند دل به نابافته
 نه گر بگنرد زو شود تافته
 چو از رنج وزید تن آسان شود
 زتابودنیها هراسان شود
 چو سختیش پیش آید از هر شمار
 شود پیش وستی نیارد به کار^(۳۲)

ثم يقول عن اخلاق الجاهل المرديّة:

وأما السبعة المهلكة فاحدها ان يغضب من غير موجب للغضب. والثاني ان يعطي من لا يستحق فيكون غير ماجور ولا مشكور. والثالث ألا يعرف قدر نفسه فيكفر نعمة ربه. والرابع ألا يكتم سره ويفشيه. والخامس ان يتكلم بما لا يعنيه فيقعده مهموماً ملوماً. والسادس ان يأمن غير ثقة وبصاحب غير ذي مقّة. والسابع ان يكذب ويصرّ على الكذب.

زندان که گفتم هفت است راه
 یکی آنکه خشم آورد بی گناه
 گناید در گنج بر ناسزا
 نه زو مزد یابد نه هرگز جزا
 سه دیگر به یزدان شود ناساس
 تن خویش را در نهان ناشناس
 چهارم که با هرکسی راز خویش
 بگوید برافرازد آواز خویش
 به پنجم به گفتار ناسودمند
 تن خویش دارد به درد وگزند
 ششم گردد ایمن به نا استوار
 همی برنیان جوید از خار بار
 به هفتم که بسنهد اندر دروغ
 به بی‌شرمی اندر بجوید فروغ^(۳۳)

ويقول الفردوسي في موضع آخر:

ترا دین ودانش رهانند درست
 ره رستگاری بیایدت جُست^(۳۴)
 یعنی: لا ريب أن في العلم والدين نجاتك، فتحراً ما استطعت سبيل النجاة.

کما يخبر الفردوسي في منظومته القارئ وينبهه إلى أن العمل السيئ لا يُفضي إلا إلى النتيجة السيئة، وان الطريق المعوج لا يوصل الانسان إلى الهدف بل يضله، وإذا قدم الانسان الشر لا يجني إلا الشر، يقول:
 مکن بد که بینی به فرجام بد
 زبد گردد اندر جهان نام بد^(۳۵)
 یعنی: لا تُسقى ففي النهاية يُساء اليك، وفي الدنيا يسوء اسم الانسان من فعله السوء ويقول:

نگیرد ترا دست جز نیکوی
 گر از مرد دانا سخن بشنوی^(۳۶)
 یعنی: لا يأخذ بيدك إلا الخير، ذلك اذا استمعت جيداً الى كلام الحكيم.

ويقول الفردوسي ايضاً:

وگر بد کسی جز بدی ندروی
 شبی در جهان شادمان تقنوی^(۳۷)
 یعنی: اذا زرعت السوء فانك لا تحصد إلا السوء ولن تنام ليلة في الدنيا سعيداً.

واحياناً ينصح الفردوسي الناس فيقول:

هر آن کس که اندیشه بد کند
 به فرجام بد باتن خود کند^(۳۸)
 یعنی: اذا فعل الانسان الشر لا محالة سوف يصاب بالاذى.

ويقول ايضاً:

جهان را نباید سیردن به بد
 که بر بدکنش بی‌گمان بد رسد
 یعنی: ينبغي ألا يعاش في الدنيا بالشر؛ لأنّ المُسيء بلا شكّ واقع في الاذى.

واحياناً يعظّ الملوك فيقول:

اگر داد دادن بود کار تو
 بیفزاید ای شاه مقدار تو^(۳۹)

يعني: اذا كان دَيْدُنُكَ اجراء العدل، فَإِنَّ منزلتك أيها الملك في ازدياد.

ويقول في موضع آخر:

جو خسرو به بيداد كرد درخت

بگردد از او بادشاهی وبخت⁽³²⁸⁾

يعني: اذا زرع الملك شجرة ظُلْمًا؛ فَإِنَّ الْمَلِكُ والاقبال يُدبران عنه.

ويعظُ الفردوسي بلسان رجلٍ عالمٍ مستنير القلب الحُكَّام، ويقول:

ينبغي أَلَّا يسمي الحُكَّام الاقوياء في ايداء المحكومين، فَإِنَّ عاقبة الجميع أَلَموت، حيث يصير فراشُهُم التُّراب

ومتكأهم اللبِن. وما افضل ان يحسن الانسان عمله، يقول:

جو خواهی که آزاد باشی زرنج

بی آزار و آکنده بی رنج گنج

بی آزاری زیر دستان گزین

جو خواهی که بایی به داد آفرین

نهالین همه خاک دارند و خشت

خنک آن که جز تخم نیکی نکشت⁽³²⁹⁾

يعني: اذا كنت تريد ان تخلص من العناء وان يكون لك كثرٌ ممثلي بلا مشقةٍ او تعبٍ، فاختر عدم ايداء من هم دونك، اذا اردت ان تمدح بالعدل فَإِنَّ فراش الجميع الترابُ واللبِن، وما اسعد ذلك الذي لم يفرس أَلَّا يُدور الخير.

ويمدح الفردوسي في موضعٍ آخر، الحاكم العادل ويقول من الممكن ان يكون الحاكم العادل بلا حمايةٍ وجنْد، ولكن العدل والاستقامة يكونان حارسيه وفي قلوب الناس ملجأهُ يقول:

اگر دادگر چند بی کس بود

ورا راستی پاسبان بس بود⁽³³⁰⁾

يعني: ان يكن العادل بلا جنْدٍ فحسبه الاستقامة حارساً. ويعتقد الفردوسي انه ينبغي ان يقاوم الظلم ويجتته من جنوره. ويقول:⁽³³¹⁾

ستمكازه را زنده بر دار كن

دوبایش زیر، سرنگونسار كن

يعني: اشتق الظالم حياً، اجعل قدميه الى اعلى ورأسه إلى أسفل.

ويرى الفردوسي ان الاجتهاد والجهد في كل مراحل الحياة المادية والمعنوية، ضروريان، لتقدم البشر ورفي المجتمع الانساني، يقول:

بیا تا جهان را به بد نسیریم

به کوشش همه دست نیکی بریم

به هرکار کوشا بیاید شدن

به دانش نوشا بیاید شدن⁽³³²⁾

يعني: انتبه لثلا نمضي الحياة في الشَّر ولنجاهد في ان نمد يد الخير.

ينبغي ان نصير مكافحين في كل امر، وان نصير مستمعين الى المعرفة.

ويقول في موضعٍ آخر: اذا لم يكافح البشر في الحياة فإنهم لن يصلوا الى التوفيق ولن يحققوا آمالهم ورغباتهم. فإنه يقول:⁽³³³⁾

زکوشش مگر هیچ سستی نه کار

به گیتی جز او نیست پروردگار

جو کوشش نباشد تن زورمند

نیارد سر آرزوها به بند

يعني: لا تتوان ابدأ في عملك؛ فَإِنَّ الله شاهدٌ عليك في الدنيا.

وعندما لا يكون القوي جلدأ، فإنه لا يحصل على رغباته قطاً.

ويرى ايضاً ان الوهن والكسل هما سبب مرض الجسد، ومرض الجسد سبب وهن الفكر.

چنین گشت يك روز كز مرد سُست

نیاید مگر رای ناتندرست

بدان گه که در کار سستی کنی

همه رای ناتندرستی کنی⁽³³⁴⁾

يعني: هكذا قال الحكيم، ذات يوم: انه لا يتأتى من الرجل الواهن الا الرأي الواهن وفي الوقت الذي تهن فيه عملك، فإنك تلقي بالآراء جزافاً.

ويرى الفردوسي: ان الجهد والجَد لازمان ايضاً لجمع المال، فيقول:⁽³³⁵⁾

به رنج اندرست ای خردمند، گنج

نیاید کسی گنج نابرده رنج

ضروريّ ليس هناك بَدْ من التعلّم، فهل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون؟!)

ويوصي الفردوسي الناس بطلب المعرفة وكسب العلم
ويعتقد أنّ المعرفة هي أساس زينة قلب الانسان وروحه.
يقول: (٣٨)

بیساری دل را به دانش که آرز -
به دانش بود چون بدانی بورز
يعني: زين القلب بالمعرفة؛ فانّ القيمة للمعرفة، وعندما
تعرف هذا، فتعلّم.

ويتحدّث صراحة في موضع آخر بأنّ المعرفة هي اساس
غنى نفس الانسان وروحه، يقول: (٣٩)

به دانش روان را توانگر کنيد
خرد را بدین برسر افسر کنيد
يعني: اجعل النفس غنيّة بالمعرفة، وبها اجعل العقل
متوج الرأس.

ويعتبر الفردوسي المعرفة اساس التربية الروحية وسبب
رقي البشر وسموهم، يقول: (٤٠)

زدانش جو جان ترا مايه نيست
به از خامشئ هيچ پيرايه نيست
يعني: اذا لم يكن لدى روحك قدر من المعرفة، فانّ افضل
زينة لك هي الصمت.

ويقول الفردوسي في موضع آخر: (٤١)

زدانش دَر بي نيازي مجوى
وگر چند از او سخنى آيد به روى
يعني: لا تبحث عن باب الاستغناء في العلم، مهما
صادفك فيه من صعاب.

وفي الواقع يريد ان يقول: ليس البشر في غنى عن
المعرفة في أي مجتمع وعليهم ان يطلبوا العلم بجهد.

ويؤمن الفردوسي باهميّة العقل، ومن عجب أنّه ينتقل في
ملحمته من تحميد الله الى مدح العقل مباشرة ويقول (٤٢) بعد
تحميد الله تعالى:

به نام خداوند جان و خرد
کزین برتر اندیشه برنگذرد

ثمّ يقول: (٤٣)

تن آسانی وکاهلی دور کن
بکوش وزرنج تست سور کن
که اندر جهان سود بی رنج نيست
کسی را که کاهل بود، گنج نيست

يعني: انّ المكسوز أيها العاقل كامنّة في التعب، ولا يجد
الكنز من لم يتحمل المشاق فخلّ عنك حُبّ الراحة
والكسل، وأسعد جسدك بالكفاح والجهد. ففي الدنيا لا يوجد
نفع بلا جهد، وليس للكسول نصيب من الكنز.

وفي موضع آخر يذم الفردوسي الكسل والبطالة ويعتقد أنّ
الكسل من مثالب البشر، وأنّ الانسان يستطيع بالهمة العالية
والجدّ والارادة القويّة ان يتخلّص من مرض الكسل ويرى
أنّه لكي تنجلي الظلمات عن الطبع والفكر، ينبغي ان يكافح
الانسان؛ لأنّ الانسان هو الذي يملك علاجاً للكسل
والبطالة، وأنّ الجدّ والكفاح هما العلاج الوحيد للأمراض
الانسانية (٣٦).

ويعتقد الفردوسي في فضيلة السعي والكفاح الى حدّ أنّه
يرى ان هذه الفضيلة ذات اثر كبير حتى في الحصول على
الجنة الخالدة، يقول: (٣٧)

به کوشش بجوييم خرم بهشت
خنک آن که جز تخم نيکي نکشت
يعني: فلنبحث عن الجنة الرغدة عن طريق السعي، فما
اسعد ذلك الذي لم يفرس الا بُدور الخير.

انّ ما يعتقدّه البعض بأنّ الفردوسي، شاعر ملحمي وانّ ما
انجزه في الشاهنامه كلّه ذو جانب ملحمي ليس صحيحاً،
فشاهنامه الفردوسي تحتوي ايضاً على موضوعات اخلاقية،
والفردوسي في ملحمته يعرف القارئ ببشاعة الكذب وبمزايا
الصدق، ولا ينفك يتحدّث عن الاستقامة واهميّة الوفاء بالعهد
واستشارة العلماء، ويوضّح قبح الغضب والحسد والعواقب
السيئة للحرص والطمع والتسرع، ويمدح فضائل القناعة
والأخذ بيد الفقراء والمساكين والعفو عمّا سلف، ويقول
للبيشر:

ابتعدوا عن الحرب والمخاصمة وسفك الدماء واحذروا
الفرور وحبّ الذات والعُجب. والفردوسي يشجع الناس على
تحصيل العلم والمعرفة، ويرى ان تحصيل العلم شيء

خرد افسر شهریاران بود
 خرد زبور نامداران بود
 خرد زنده جاودانی شناس
 خرد مایه زندگانی شناس
 یعنی: ان العقل هو تاج الملوك، وزينة العظماء.
 اعلم ان العقل هو الحي الايدي، وانه اس الحياة.
 وايضاً يقول:
 کسی کو ندارد خرد را زبیش
 دلش گردد از کرده خویش ریش
 یعنی: الذي لا يكون العقل دليلاً امامه، فان قلبه يصاب
 من فعله بالجراح.
 وايضاً يقول:
 خرد چشم جان است چون بنگری
 تو بی چشم شادان جهان نسری
 همیشه خرد را تو دستور دار
 بدو جانت از نازا دور دور
 یعنی: العقل هو عين الروح عندما تعمن النظر، وانك لا
 تعيش في الحياة سعيداً بلا بصر، اجعل العقل ناصحاً لك
 على الدوام، وابتعد به روحك عن كل ما لا يليق.
 ويرى الفردوسي ان العقل لازم للاديان ايضاً، وانه لا بد
 لتعاليمها ان تتفق مع العقل، يقول:
 هرآن دين كه باشد بخويى به باي
 برآن دين بياشد خرد رهنماي
 یعنی: كل دين يكون ثابتاً راسخاً، لا بد ان يكون العقل له
 دليلاً.
 وبعد الفردوسي الاستقامة ضرورية للبشر من اجل صفاء
 قلوبهم واستنارة بواطنهم ويعتقد ان على البشر ان يتجنبوا
 الاعوجاج وسوء النية.
 يقول:⁽⁴⁴⁾
 همه روشنی مردم از راسنی است
 رتاری وکزی بیايد گریست
 یعنی: ان كل ضياء البشر من الاستقامة والصدقة، فعليهم
 تجنب الاعوجاج وسوء النية.
 ويذم الفردوسي الإغلاظ في القول والغضب والفظاظة،
 ويدعو الى التحدث مع الآخرين برقة ولبين، لا بطريقة

يتألمون منها، يقول:⁽⁴⁵⁾
 سخن نرم گوی ای جهاننده مَرَد
 میلای لب را به گفتار سَرَد
 یعنی: تحدث بلین أيها الرجل المجرب، ولا تلوث شفیتک
 بالقول القبیح.
 ويذم الفردوسي التناول على مال الآخرين ويعتبره امراً
 مستقبخاً ويقول:⁽⁴⁶⁾
 زچیز کسان دور دارید دست
 بی آزار باشید و یزدان پرست
 یعنی: كف يدك عن املاك الآخرين، لا تكن مؤذياً وكن
 عابداً لله.
 ويقول الفردوسي للناس: تجنبوا ايداء الآخرين، ثم
 يعطيهم دروساً في الاخلاق ويقول:⁽⁴⁷⁾
 مجوید آزار همسایگان
 بویزه بزرگان و برمایگان
 یعنی: انه ينبغي ألا يؤذوا جيرانهم ولا تسع في ايداء
 الجيران، خاصة اصحاب الشأن وذوي القدر.
 وكان الفردوسي يعتقد كثيراً في الضمير الاخلاقي او ما
 اصطلح عليه بالنفس اللوامة التي تعاتب الانسان بعد ارتكابه
 الذنب وتجعله حذراً من القبائح وهذه هي احدى النصائح
 التي يقولها الرجل العالم [بزرجمهر] للملك الساساني
 [انوشروان]:
 چهارم چنان دان كه بيم گناه
 فزون باشد از بند وزندان شاه⁽⁴⁸⁾
 ويحذر الفردوسي البشر من التسويف وتأجيل الأعمال
 والتقصير في أداء الواجبات ويقول:⁽⁴⁹⁾
 به فردا ممان کار امروز را
 بر تخت منشان بدآموز را
 یعنی: لا تؤجل عمل اليوم الى الغد، ولا تجلس الى جوار
 عرشك من يسيء النصيحة.
 كان الفردوسي مسلماً مؤمناً بالله الواحد، ونبوة
 الرسول (ص) ويستشف من شعره انه عابد لله الواحد القادر
 الذي خلق هذه الدنيا من العدم وجعلها وجوداً، والذي يدير
 الفلك ويدل الى الخيرات وحقيقة ذاته خافية عن ابصارنا

بالرغم أن الموجودات مظهر له وهو أعلى من الفكر والعقل والوهم، لأننا مهما تصوّرنا في شأنه فإن هذا التصور وليد خيالاتنا، يقول: (٥٠)

زنام ونشان وگمان برتراست
تکارنده برشده گوهر است
نیابد بدو نیز اندیشه راه
که او برتر از نام و از جایگاه
يعني: هو أعلى من الاسم والرسم والخيال، وهو مصوّر السموات العُلى لا يجد الفكر طريقاً إليه، فهو اسمى من الاسم ومن المكان.

وللفردوسي في مقدّمة الشاهنامه اشعاراً في مدح الصحابة وخلود الروح والايمان بيوم الحساب.

لقد كان الفردوسي عظيماً من الناحية الأخلاقية وميراً من الكدبية ونظم المدائح لنيل الصلات والملق والنفاق الذي لا معنى له، فكثيراً ما تحدّث في نصائحه ذاماً ايذاء الخلق واقتراف الكذب. لم يكن حريصاً عابداً للدين ولم ترد في شعره كلمة نابية مستهجنة على الاطلاق، بل إن شعره كله مليءٌ بالعفة وطلاوة القول.

وعلى وجه العموم ينبغي ان نقول أنه بالرغم من أن شاهنامه الفردوسي تعدّ منظومة ملحمية، إلا أنها لا تخلو من المواعظة والنصيحة والاقوال الممتزجة بالحكمة. ومعظم الكلمات والاقوال الاخلاقية في الشاهنامه، نقلها الفردوسي عن بزرجمهر. وبحسب مقتضى الحال كان يسوق في نهاية كل قصّة اقوالاً اخلاقية ليتخذ منها القارئ العبرة.

لقد ذكرت هذه الاقوال، حتى يسعى البشر إلى تنفيذ التعاليم الحكيمية والاقوال السامية للفردوسي في حياتهم ويكافحوا على الدوام ليحلوا أنفسهم بزينة علم الفردوسي وفضله ورأيه؛ لأن المجتمع اليوم في حاجة الى هذا النوع من البشر، المتقنين ذوي الاخلاق الحميدة اكثر من أي شيء. وينبغي ان يكافح البشر حتى يتحلّوا بهذا النوع من الصفات التي تحدّث عنها الفردوسي، وأن يتجاوزوا عن المهازل التي لا تليق بهم ويقوموا بعمل تثمر به اشجار وجودهم، وتزهر وتلقى بالظل، حتى يتقربوا من الكمال اكثر فأكثر.

المصادر والهوامش:

- * الشاهنامه كلها من البحر المتقارب وفي شكل المتنوي.
 - ** مثلها «ظفرنامه» [كتاب الظفر أو النصر] لحمد الله المستوفي الفروزي وشهنشاه نامه [كتاب الامبراطور] لملك الشعراء صبا.
 - *** مثل منظومة خاوران نامه [الكتاب المشرقي] وحملة حيدري [الكرّ الحيدري] لابن حسام.
 - ١- منتخب الشاهنامه، لمحمد علي فروغي وحبيب يغماني، ص ٥٢٤.
 - ٢- لمزيد الاطلاع، انظر: مقدّمة الشاهنامه للدكتور عبدالوهاب عزّام، ص ٢٣.
 - ٣- المثل السائر، طبعة دار النهضة المصرية، ج ٤، ص ١٢.
 - ٤- المصدر السابق، ج ٤، ص ١١.
 - ٥- لمزيد الاطلاع، انظر: مقالة الاستاذ فروغي في «هزاره فردوسي»، ص ٨.
 - ٦- منتخب الشاهنامه، ص ٤٩.
 - بگير اين سر گيسو ز يك سوي
زهر تو نام همي گسوي
بدان پرورانيدم اين تار را
که تا دستگيري کند يار را
 - * صرخت و طارت نعاغاً و شفت جيبها نائحه على ذلك الصبي الفصن وانطلقت صارخة معولة نائحة، واخذت تفقد وعيها بين لحظة وأخرى.
 - ٧- منتخب الشاهنامه، ص ١٧٦.
 - ٨- انظر: شاهنامه الفردوسي، مطبعة بروخيم، طهران، ١٣١٤ هـ. ش، ج ٩، ص ٢٧٩٩.
 - ٩- منتخب الشاهنامه، ص ٥٦٥.
 - ١٠- المصدر السابق، ص ٤٢٣.
 - ١١- المصدر السابق، ص ٢١٦.
 - ١٢- انظر شاهنامه الفردوسي، مطبعة مسكو ١٩٧٠، ج ٨، ص ١٢٢.
 - ١٣- المصدر السابق، ج ٨، ص ١٢٢.
 - ١٤- المصدر السابق، ج ٨، ص ١٢٢.
 - ١٥- المصدر السابق، ج ٨، ص ١٢٢ و ١٢٣.
 - ١٦- المصدر السابق، ج ٨، ص ١٢٣.
 - ١٧- المصدر السابق، ج ٨، ص ١٢٣.
 - ١٨- المصدر السابق، ج ٨، ص ١٢٣ و ١٢٤.
 - ١٩- المصدر السابق، ج ٨، ص ١٢٤.
- وفي نسخة طبعة مسكو ج ٨ ص ١٢٤ هكذا:

دگر گو زنادیدنیها امید
چنان بگسلد دل جو از باد بید

- ۲۰- منتخب شاهنامه. ص ۵۸۲.
- ۲۱- المصدر السابق، ص ۵۸۲ و ۵۸۳.
- ۲۲- شاهنامه الفردوسی، مطبعة مسکو، ۱۹۷۰، ج ۱، ص ۷.
- ۲۳- لمزيد الاطلاع، انظر: مقالة الأستاذ فروغي في «هزاره فردوسی»، ص ۳۵.
- ۲۴- المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ۲۵- المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ۲۶- منتخب شاهنامه، ص ۵۷۱.
- ۲۷- المصدر السابق، ص ۱۲.
- ۲۸- انظر: مقالة الأستاذ فروغي في «هزاره فردوسی»، ص ۳۵.
- ۲۹- منتخب شاهنامه، ص ۵۴۰.
- ۳۰- المصدر السابق، ص ۵۹۶.
- ۳۱- المصدر السابق، ص ۵۹۷.
- ۳۲- لمزيد الاطلاع، انظر: مقالة الأستاذ رشيد ياسمي في «هزاره فردوسی»، ص ۲۰۵.
- ۳۳- المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ۳۴- المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ۳۵- المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ۳۶- المصدر السابق، ص ۲۰۵ و ۲۰۶.
- ۳۷- انظر: شاهنامه الفردوسی، مطبعة بروخيم، طهران، ۱۳۱۴ هـ ش، ج ۷، ص ۲۱۱۷.
- ۳۸- منتخب شاهنامه، ص ۵۴۳.
- ۳۹- المصدر السابق، ص ۵۶۴.
- ۴۰- المصدر السابق، ص ۵۷۹.
- ۴۱- المصدر السابق، ص ۵۸۳.
- ۴۲- شاهنامه الفردوسی، مطبعة مسکو، ۱۹۷۰، ج ۱، ص ۱.
- ۴۳- المصدر السابق، نفس الصفحة.
- ۴۴- المصدر السابق، ص ۵۷۸.
- ۴۵- المصدر السابق، ص ۲۶۵.
- ۴۶- المصدر السابق، ص ۵۶۴.
- ۴۷- المصدر السابق، نفس الصفحة؛ وايضاً انظر: شاهنامه الفردوسی، طبع بروخيم، ج ۷، ص ۲۲۰۹.
- ۴۸- المصدر السابق، ص ۵۴۱.
- ۴۹- المصدر السابق، ص ۵۴۲.
- ۵۰- شاهنامه الفردوسی، مطبعة مسکو، ۱۹۷۰، ج ۱، ص ۱.